

الشريف حسين والثورة العربية الكبرى: المجريات والنتائج

*Sherif Hussein and the Great Revolt:*

*Events and Historys capitalized*

1- د. عبد الرحمن لبناقرية\*، جامعة سوق أهراس (الجزائر)

a.lebnagria@univ-soukahras.dz

تاريخ الاستلام: 2023 /03/12 تاريخ القبول: 2023 /04/02 تاريخ النشر: 2023 /06/04

#### ملخص:

شكلت الثورة العربية الكبرى بارقة أمل جديدة للعرب لإرساء معالم دولة عربية فتية بقيادة الشريف حسين الذي جمع بين الفكر والتطبيق والذكاء والفتنة حيث وضع نصب عينيه التحرير والاستقلال ثم الوحدة العربية وهو ما تجلّى في مراحل ومعارك الثورة العربية ولكن اصطدم بالذكاء والخداع البريطاني الذي استخدم العرب لتحقيق مصالحه بالقضاء على العثمانيين عن طريقهم ووضع العراقيل في طريقهم في سبيل عدم توحيدهم ودليل ذلك وعد بلفور.

كلمات مفتاحية: الشريف حسين، الوحدة العربية، العثمانيين، دمشق، يقظة الأمة.

\*- المؤلف المرسل

**Abstract:**

The Great Arab Revolution agave a new glimmer of hope for the Arabs to establish the features of a youthful Arab state under the leadership of Sharif Hussein, who combined thought, application, intelligence and acumen, as he set his sights on revolt and independence and then Arab unity, which was evident in the stages and battles of the Arab revolution, but all of which collided with the British deceiving intelligence that exploited the Arabs to achieve their interests by using them in eliminating the Ottomans, and creating obstacles to hinder their path towards unity best exemplified the Balfour Declaration.

**Keywords:** Sharif Hussein; the Ottomans; Damascus; Arab unity

● مقدمة

تعتبر الثورة العربية الكبرى مرحلة تاريخية هامة في التاريخ العربي المعاصر وما أفرزته من تحولات سياسية هامة في حياة العرب إذ أرادوا التخلص من استعمار بغيض اتسم بالتخلف والجهل وتقييد الحريات الا انهم وقعوا في دوامة استعمار اشد دهاء ومكرا من السابق، فالثورة العربية الكبرى التي انطلقت مثل الثورات العالمية الأخرى، ضد الظلم والاستبداد ومن أجل الحرية والاستقلال إلا أن هذه الأهداف السامية التي أعلنت من اجلها الثورة العربية الكبرى في الحجاز فقدت قيمتها الحقيقية بسبب اعتمادها على بريطانيا ووعودها الكاذبة لأن هذه الأخيرة أرادت من ورائها إثارة العرب ضد الدولة العثمانية لإشغالها في أكثر من محور حتى يتم إنهاكها والقضاء عليها لأنها تجاوزت الخطوط الحمراء المحددة لها ومن خلال ذلك نلاحظ ان الثورة كانت تسير في خطين متقاطعين الأول تمثل في الرغبة العربية التي قادها الشريف حسين من اجل الحرية والاستقلال وأما الثاني فقد ارتبط بالرغبة البريطانية في التخلص من الدولة العثمانية وهذا التقاطع كان يعني التسابق بين الطرفين في سرعة وصول احدهما نحو النهاية وعلى الرغم من أن العرب كانوا على مرمى من نهاية المسار إلا أن بريطانيا كانت قد أعدت عدتها في وضع العراقيل التي أنهكت الطموح العربي وأسقطته أرضا.

تحتاج القيادة المؤثرة والمؤهلة إلى صفات لا تتوافر الا في شخصية جمعت بين الفكر والتطبيق والحزم واللين والقدرة على المناورة والذكاء والفتنة والحرص على ادارة المرحلة الراهنة سياسيا وعسكريا لتحقيق أكبر قدر من الأهداف. وقد سعى الشريف الحسين بن علي إلى بناء مشروع نهضوي قومي يحقق للعرب امالهم فكانت الثورة العربية الكبرى إنجاز العرب والذي غير مجرى تاريخهم في القرن العشرين.

## 1. الشريف حسين حياته ومكانته

ولد الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون في الأستانة<sup>1</sup> عام 1853<sup>1</sup> حيث كان أبوه وجده يقيمان بناء على أمر من الدولة العثمانية ثم عاد إلى مكة وهو في الثالثة من العمر حيث تلقى تعليمه فيها وكان مولعا بالدراسة والمطالعة فأحرز ثقافة عالية<sup>2 3 4</sup> وهذا ما انعكس على فكره وخطاباته حين قاد مشروع النهضة العربية الكبرى، ومن ثم طلبه السلطان عبد الحميد (1876-1909) للإقامة في الأستانة ووصل إليها عام 1893 وهو في الأربعين من العمر وعين عضوا في مجلس شورى الدولة فغدا من أهم الشخصيات المرموقة في الأستانة وامتدت إقامته فيها نحو ستة عشر عاما متصلة ويصف الأمير عبد الله إقامة والده في الأستانة في ذلك الوقت أنها جبر وإكراه وإقامة تعلم وعبر ونفيا وتغريبا<sup>5</sup> على الرغم من حسن معاملة السلطان للشريف حسين.

نال الشريف حسين قدرا كبيرا من احترام أهل الأستانة نظرا لصفاته الحسنة وقوة شخصيته وتميز بهدوئه وتدينه فابتعد عنه جواسيس السلطان عبد الحميد<sup>6 7</sup> وكانت له علاقات مع كبار رجال

---

<sup>1</sup> الأستانة: اسطنبول الحالية مدينة تركية تقع على جانبي البوسفور تتميز بموقعها الإستراتيجي الذي يصل بين قارتي آسيا وأوروبا.

<sup>1</sup> شامي يحي، موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ص ص 305-306.

<sup>2</sup> الموسى سليمان، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، ط2، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1992، ص 27.

<sup>3</sup> علي محافظة، الفكر السياسي في الأردن، وثائق ونصوص 1916-1946، ج 3، وزارة الثقافة، عمان، 2009، ص 35.

<sup>4</sup> نضال المومني، الشريف حسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1996، ص ص 18-19.

<sup>5</sup> عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، الدار المتحدة للنشر، ط2، 1979، بيروت، لبنان، ص 45.

<sup>6</sup> جورج أنطونيوس، يقظة العرب - تاريخ الحركة القومية العربية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1967، ص 41.

<sup>7</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 23.

الدولة للتشاور في أوضاعها<sup>1</sup> كما تميزت شخصية خلال إقامته في اسطنبول بأنه كان مثاليا ولم يعرف عنه أي توجه سياسي بسبب شدة تكتمه وحذره<sup>2</sup> فكان موضع احترام الجميع عربا وأتراكا. هذه الصفات وغيرها جعلت من الشريف الحسين بن علي شخصية قيادية قادرة على التأثير في الآخرين ومكنته من قيادة مشروع النهضة العربية.

أرسل الشريف حسين ابنه الأمير فيصل إلى دمشق سنة 1915 ليتصل بزملاء الحركة القومية العربية ويعرض عليهم اتصالاته بالإنجليز واتفقت كلمتهم على قبول عروض الإنجليز واتفقوا على زعامة الشريف حسين للثورة ثم وضعوا مطالب ومخطط يتفاوض الشريف حسين مع الإنجليز من أجل الاستقلال وهو ما عرف بميثاق دمشق<sup>3</sup> وبعدها بأيام بدأت المراسلات بين الشريف حسين والسير آرثر هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني بمصر في 14 جويلية 1915 واستمرت حتى 10 مارس 1916 وبلغ مجموع الرسائل المتبادلة فيها عشرة رسائل كتبها مكماهون وخمسة كتبها الشريف حسين،<sup>4</sup> ومجمل هذه الرسائل يتحدث عن حدود الدولة العربية بين القبول والرفض والمماطلة فقد استطاعت بريطانيا فيما بعد باتباع سياسات الحقت الضرر بالعرب وآمالهم.<sup>5</sup> ولم يبق امام الشريف حسين الا إعلان الثورة ضد العثمانيين.

## 2. الوضع العام الدولي وتأثيراته

شهد مطلع القرن العشرين الميلادي تنامي الوعي القومي العربي وقد شهدت حركة الوعي القومي هذه نهضة فكرية بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وشملت مختلف جوانب الحياة العربية السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد أثمرت هذه النهضة واثرت على الوضع السياسي<sup>6</sup> وتعد جمعية بيروت السرية التي تأسست عام 1876 أول جهد منظم في حركة

<sup>1</sup> غرابية عبد الكريم، تاريخ العرب الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2008، ص 216.

<sup>2</sup> نضال المومني، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1914-1914، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 281.

<sup>4</sup> عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1922-1916، بيروت، دار النهضة العربية، 1984، ص 403-402.

<sup>5</sup> زاهية قدورة، المرجع السابق، ص ص 246-247.

<sup>6</sup> عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 451..

العرب السياسية فقد عملت على كشف مساوئ الحكم العثماني عبر تعليق المنشورات والتي تبرز عيوبه وآثاره السلبية على الشعب العربي واعدت برنامجا للقضاء على هذا الحكم وبحد السيف اذا استلزم الأمر ذلك<sup>1</sup> ولكن هذه الجمعية فشلت في تحقيق أهدافها السياسية بسبب عدم تبلور الوعي الكافي وسياسة القمع العثماني ابان فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) ولكن هذا لم يلغي الروح المتنامية للعرب من اجل التخلص من بوتقة الجهل والتخلف فنشط العشرات من المفكرين العرب لاستكمال مشروع جمعية بيروت السرية ومن هؤلاء عبد الرحمان الكواكبي ونجيب عازوري وعلى الرغم من اختلافهم ولكنهم استطاعوا احياء تراثها الحضاري العربي الاسلامي وفي رحم هذا الاختلاف وجدت القومية العربية.<sup>2</sup>

حينما دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا أصبح مرتبطا بمصيرها وأحدث هذا الموقف حيرة وتردد في صفوف العرب إذ يرى البعض منهم ضرورة التعاون مع الحلفاء<sup>3</sup> من أجل تحقيق أهدافهم في الحرية والاستقلال وجماعة أخرى ترى ضرورة التعاون مع العثمانيين تحت غطاء الحماية الدينية، وهذا الرأي الأخير هو الذي جعل جمال باشا قائد الجيش العثماني الرابع في سوريا<sup>4</sup> يحاول التقرب من العرب وكسب ودهم، بدعوته إلى التآلف بين العرب والأتراك ونجح في استمالة بعض القادة أمثال عبد الكريم الخليل وأحمد الشاهيندر وعبد الغني العريس وغيرهم الكثير<sup>5</sup> ولكن في جهة أخرى كان يعمل على اضعاف قدراتهم لأنه يعرف مكنم الخطر بتطور الفكر القومي العربي وتأثيره عليه في ضوء المتغيرات الدولية آنذاك<sup>6</sup> فحدث أن قام بنفي الضباط العرب إلى مناطق القتال

<sup>1</sup> نفسه، ص 424.

<sup>2</sup> عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 425.

<sup>3</sup> عبد الفتاح حسن أبو عليّة وإسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ للنشر، 1979، ص ص 442-450.

<sup>4</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 275.

<sup>5</sup> حكمت ياسين، السياسة الفرنسية اتجاه الثورة العربية، دار التونسية للنشر، تونس، 1981، ص 55.

<sup>6</sup> جلال يحيى، المرجع السابق، ص 524.

خارج البلاد العربية ليتخلص من خطرهم<sup>1</sup> وقام بعدها بإلقاء القبض على عدد من القادة العرب يوم 21 أوت 1915 بحجة التآمر والتخطيط للقيام بثوره ضده بالتعاون مع الفرنسيين وبعده أعلن الأحكام العرفية في بلاد الشام واعتقال المئات ونفي البعض إلى الأناضول<sup>2 3</sup> وهذا من أجل اضعاف وإفشال أي محاولة في الثورة، وبقيت سياسة البطش والقتل والقسوة فأعدم العديد من القادة في 6 ماي 1916 في كل من بيروت ودمشق في حق قادة القومية العربية ومفكرها بحجة الخيانة العظمى والتخابر مع القوى الأجنبية.<sup>4</sup>

بسبب سياسة البطش والقمع والقتل قطع حبل المودة بين العرب والأتراك فقد دفعت قادة الجمعيات العربية بضرورة اعلان الثورة العربية على الدولة العثمانية وهنا تدخل الحركة العربية مرحلة جديدة في الكفاح من أجل تحقيق أهدافها.<sup>5</sup>

### 3. توقيت الثورة

وجد الشريف حسين ضرورة العمل على تهيئة الظروف الملائمة للثورة حتى يتمكن من تحقيق الاهداف المرجوة منها، وعليه عمل الشريف حسين بصمت وهو يتم هذه الاستعدادات. فقد تعامل مع السلطات العثمانية بنوع من الحيطة والحذر، فلم يجاهر بعدائه لها، ولكن في نفس الوقت كان يماطل في تلبية طلباتها المتكررة بخصوص اعلان الجهاد المقدس وإرسال المتطوعين في الحجاز للمشاركة في الحرب. في نفس الوقت، كان يقوم باستعداداته العسكرية، فضلا عن اتصالاته السرية مع البريطانيين، وإعداد المقاتلين انتظارا للوقت المناسب.<sup>6</sup> فقد استغل الشريف حسين فرصة طلب العثمانيين ارسال المتطوعين للقيام بهذا العمل من دون جلب الانتباه لما يقوم به.<sup>7</sup> كذلك كلف ولده الامير علي بالتحرك والاتصال بشيوخ القبائل الموثوق بهم واطلاعهم على ما يريد الشريف حسين القيام

<sup>1</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 275.

<sup>2</sup> حكمت عبد الكريم فريحات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ط 1، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، 1990، ص 243.

<sup>3</sup> نفسه، ص 55.

<sup>4</sup> حكمت ياسين، المرجع السابق، ص 97.

<sup>5</sup> نفسه، ص 56.

<sup>6</sup> حكمت عبد الكريم فريحات، المرجع السابق، ص 108.

<sup>7</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 261.

به، وكسب تأييدهم في حالة قيام أي نزاع مع العثمانيين في المستقبل وإحضار المتطوعين من أبناء تلك القبائل.<sup>1</sup>

وتعهدت بريطانيا بتقديم المساعدات اللازمة للقيام بالثورة من حيث تزويد الشريف حسين بالأسلحة والعتاد والأموال اللازمة خلال المفاوضات التي جرت بين الشريف حسين والسير مكماهون. وكانت السلطات البريطانية تقوم بتخزين الأسلحة والمعدات الأخرى في ميناء بور السودان استعداداً لنقلها إلى ميناء جدة في حالة إعلان الثورة. كما تعهدت بريطانيا بإرسال الخبراء العسكريين من أجل تدريب المقاتلين العرب.<sup>2</sup>

على الرغم من أن الشريف حسين لم يتم استعداداته اللازمة، إلا أنه عجل في إعلان الثورة بسبب التطورات التي بدأت تتسارع من حوله، فعلى إثر اخفاق جمال باشا في فعلته الثانية على قناة السويس، صب نقمته على العرب متهما الضباط العرب في الجيش العثماني الرابع بالتخاذل والجبن، فأبعدهم إلى جهات حرب خارج المنطقة، واتبع سياسة البطش والإرهاب في بلاد الشام. وقام بتنفيذ حكم الأعدام بالعديد من قادة الحركة القومية العربية في يوم السادس من ماي 1916<sup>3</sup> بقيادة فخري فخري باشا نحو الحجاز،<sup>4</sup> وإلى جانب تقدم القوات الروسية في الاناضول واقتربها من البلاد العربية في ربيع عام 1916، ولكن يبقى الحاح بريطانيا المستمر بضرورة الاستعجال بإعلان الثورة، لاسيما بعد تدهور وضع بريطانيا العسكري في العراق، حيث استسلمت القوات البريطانية في الكوت البالغة اثني عشر ألف جندي للجيش العثماني في 26 أبريل 1916<sup>5</sup>. كل هذه الظروف شكلت ضغطاً على الشريف لكي يعجل بإعلان الثورة.

<sup>1</sup> جلال يعي، المرجع السابق، ص 524.

<sup>2</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص ص 261-262.

<sup>3</sup> محمد أيوب، الثورة العربية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث، بيروت، 1985، ص 403.

<sup>4</sup> جلال يعي، المرجع السابق، ص 524.

<sup>5</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 402.

<sup>6</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 270.

أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية في 10 جوان 1916 وأطلق بنفسه في ذلك اليوم أول رصاصة على القلعة العثمانية في مكة، ايذانا بإعلان الثورة، التي انطلقت في ذات اليوم في الطائف وجدة واعتبر هذا اليوم التاريخ الرسمي لقيام الثورة العربية.<sup>1</sup> وعزز حركته بمنشور أذاعه اتهم فيه الاتحاديين بالخروج على الشريعة الاسلامية، وجاء فيه "وانفصلت بلادنا عن المملكة العثمانية انفصالا تاما، وأعلنا استقلالنا لا تشوبه شائبة مداخلة أجنبية ولا تحكم خارجي". ثم شرح في منشور آخر، صدر بتاريخ 26 جوان 1916، الاسباب التي دفعته لإعلان الثورة، متهما باستيلائهم على السلطة وسلبهم الخلفية جميع حقوقهم وابتعدوا من تعاليم الدين الاسلامي، فضلا عن اتباعهم سياسة عنصرية تقوم على اساس اضطهاد العرب وقتل أحرارهم، وإزاء ذلك فان على العرب العمل لإنقاذ أنفسهم وإقامة كيانهم المستقل.<sup>2</sup>

#### 4. بدء العمليات العسكرية

##### 1.4. العمليات العسكرية في الحجاز

احتشد رجال الشريف حسين في ليلة العاشر من جوان 1916 في مكة المكرمة، وقد أطلق الشريف رصاصة كانت الاشارة المتفق عليها لبدء الثورة، فجري قطع أسلاك البرق والهاتف مع مدينتي جدة والطائف من اجل عزل العثمانيين. وبعد ذلك تم مهاجمة المواقع العثمانية في المدينة بقيادة الامير زيد ويعاونه الشريف شرف. ولم يستطع العثمانيون من الصمود طويلا امام هجمات القوات العربية، اذ انتهت مقاومتهم في التاسع من جويلية باستلام الثكنة العثمانية في المدينة، بعد ان تحولت موازين القوى في صالح قوات الثورة بعد وصول امدادات عسكرية بريطانية في يوم 29 جوان، وهي عبارة عن بطاريتي مدفعية وكميات من العتاد وثلاثة آلاف بندقية.<sup>3</sup> وبلغ عدد الاسرى العثمانيين حوالي 1100 جندي إلى جانب كميات من الاسلحة والذخائر.<sup>4</sup>

اما في الطائف فقد تولى الأمير عبد الله مهاجمتها، وفي يوم 9 جوان أمر بقطع اسلاك البرق والهاتف بين الطائف ومكة، ولكنه لم يهاجم مواقع العثمانيين إلا في ليلة جوان. واتسم الهجوم بالعنف وبعد ايام من القتال تمكن الثوار من تحقيق تقدم ملموس على القوات العثمانية، لاسيما بعد

<sup>1</sup>الموسى سليمان، المرجع السابق، ص ص 273-274.

<sup>2</sup>الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 283.

<sup>3</sup>الموسى سليمان، المرجع السابق، ص ص 275-276.

<sup>4</sup>محمد أيوب، المرجع السابق، ص 406.

انقطاع الامدادات من بلاد الشام. وبعد مقاومة دامت مئة يوم استسلمت الحامية العثمانية في يوم 22 سبتمبر 1916 نتيجة نقص المؤن وعدم وصول قوة اسناد تفك عنها الحصار.<sup>1</sup> وتم أسر قرابة ألفي جندي، إلى جانب كميات كبيرة من المعدات الحربية والذخائر.<sup>2</sup>

تحركت قوة مكونة من ثلاثة آلاف مقاتل من قبيلة حرب نحو ميناء جدة في يوم العاشر من جوان ولاقت القوات العربية صعوبة في القضاء على الحامية العثمانية في المدينة بسبب افتقارها إلى المدفعية، ولو لا تدخل ثلاث بوارج من البحرية البريطانية المتواجدة في البحر الاحمر التي أخذت على عاتقها قصف الحامية العثمانية وأجبرت العثمانيين على الاستسلام، لما تمكن الثوار من دخولها في يوم 13 جوان 1916<sup>3</sup> وهي بذلك، تكون أول مدينة في الحجاز يستولي عليها الثوار العرب بعد إطلاق الثورة العربية.<sup>5</sup>

وفي هذه الاثناء تمكنت القوات العربية من السيطرة على عدد من المواقع العثمانية المهمة على الساحل بمساعدة البحرية البريطانية، وهي الليث في يوم 23 جوان والقنفدة في يوم 8 جويلية، وينبع في يوم 27 جويلية، واملج في الأول من أوت.<sup>6</sup>

واستطاعت القوات العربية الثائرة ان تستولي في اقل من ثلاثة أشهر على جميع مدن الحجاز الكبرى باستثناء المدينة المنورة التي بقيت محاصرة إلى نهاية الحرب العالمية الاولى علما بان القوات العثمانية في الحجاز عشية اعلان الثورة كانت تتألف من عدة حاميات ترابط في المدن المهمة والمواقع الاستراتيجية. وبلغ عددها الاجمالي قرابة خمسين ألف جندي، منهم أربعة وعشرين ألفا في المدينة المنورة وحدها، أما حامية جدة كانت تتألف من 2600 جندي، في حين كانت حامية كل من مكة

---

<sup>1</sup>الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 278.

<sup>2</sup>محمد أيوب، المرجع السابق، ص 406.

<sup>3</sup>محمد أيوب، المرجع السابق، ص 406.

<sup>4</sup>جلال يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر - المدخل، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1998، ص 524.

<sup>5</sup>حكمت عبد الكريم فريجات، المرجع السابق، ص 278.

<sup>6</sup>الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 278.

المكرمة والطائف مؤلفة من ألف جندي. ومما لا شك فيه أن هذه القوات كانت قليلة قياسا بالمساحة الجغرافيا للحجاز، ونظرا لبعدها عن بعضها كان من الصعب نجدة احدهما الأخرى.<sup>1</sup> ونظرا لمناعة الحامية العثمانية في المدينة المنورة، قرر الأمير فيصل التحرك نحو الشمال. وتمكنت القوات من السيطرة على ميناء الوجه<sup>أ</sup> في يوم 25 جانفي من عام 1917<sup>2</sup> كانت الغاية الرئيسية من احتلال ميناء الوجه هي الحصول على قاعدة تموين على الساحل الشمالي، من البحر الاحمر، من أجل ان تتمكن القوات العربية من مهاجمة خط سكة من الداخل.<sup>3</sup> واعتبر احتلالها من أهم الاعمال العسكرية التي حققها العرب منذ اندلاع الثورة اذ أمدتهم بقاعدة حصينة لشن غاراتهم على سكة حديد الحجاز.<sup>4</sup>

بعد احتلال الوجه اتخذها الأمير فيصل قاعدة لانطلاق قواته، نظرا لموقعها الهام على ساحل البحر وقربها من خط سكة حديد الحجاز بمساعدة الخبراء الانكليز. ومن أهم العمارات العسكرية التي قاموا بها مهاجمة الأمير عبد الله محطة أبو النعم في مارس من عام 1917، وهجوم فيصل على قلعة المعظم ومحطة الدار الحمراء في مارس من ذات العام، ومحطة زمرد في شهر جويلية من نفس العام<sup>5</sup> ومن أكبر الهجمات التي قام بها فيصل مهاجمته للمخفر العثماني من منطقة أبو اللسان الواقعة في أقصى شمال الحجاز، وتمكن من احتلاله في 28 جوان من عام 1917 وأسرت قواته 160 جندي.<sup>6</sup> وبذلك أصبحت القوات العربية على مشارف حدود بلاد الشام الجنوبية، لتبدأ مرحلة جديدة من النشاط العسكري.<sup>ب</sup>

<sup>1</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص ص 404-405.

<sup>2</sup> زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1975، ص 252.

<sup>أ</sup> الوجه: ميناء تجاري مهم يقع على ساحل البحر الاحمر والى الشمال من ميناء جدة على مسافة 400 كيلومتر.

<sup>3</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 298.

<sup>4</sup> حكمت ياسين، المرجع السابق، ص 47.

<sup>5</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 74.

<sup>ب</sup> للإطلاع على العمليات العسكرية في الحجاز، أنظر الخريطة رقم 1.

<sup>6</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 406.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الشريف حسين نجح في الاستفادة من الظروف الطبيعية للحجاز وتسخيرها في صالحه وتحقيق الانتصارات العسكرية على القوات العثمانية هناك. فقد كان سكان المنطقة معتادين على درجات الحرارة العالية وقلة المياه ووعورة الطرق والمسالك، فتمكنوا من التحرك بحرية تامة وقطع الاتصالات بين الحاميات العثمانية على العكس من القوات العثمانية التي وجدت مشقة في تأمين التواصل ومعاونة بعضهم لبعض.<sup>1</sup> وهذه الظروف، هي التي خلقت نوع من التوازن بين القوات العربية والعثمانية، على الرغم من التفوق الذي كانت تتمتع به القوات العثمانية من حيث الأسلحة والمعدات.<sup>2</sup>

خلاصة القول، يمكن تحديد الموقف العسكري في الحجاز في مطلع عام 1917 كالآتي: استطاعت القوات العربية من تعطيل ثلاث فرق عثمانية، على أقل تقدير، واضطرتهم على إرسال تعزيزات إضافية إلى الحجاز، كما نجحوا في إيقاف فعلة ستوتزنجن الألمانية.<sup>3</sup> أما توزيع القوى العسكرية، فهي على الشكل الآتي: وجود قوة عسكرية عثمانية محاصرة في المدينة المنورة وخط سكة حديد الحجاز، تقابلها القوات العربية المقسمة إلى ثلاث فرق، وهي:<sup>4</sup>

- الفرقة الجنوبية بقيادة الأمير علي ومقرها في رابغ.
- الفرقة الشمالية بقيادة الأمير فيصل، ومركزها ميناء ينبع.
- الفرقة الشرقية بقيادة الأمير عبد الله في وادي العيص.

## 2.4. الزحف نحو بلاد الشام

أختير ميناء العقبة لأنه أول الأهداف العسكرية التي حددها الأمير فيصل في إطار الإنتقال بالنشاط العسكري العربي من حدود الجزيرة العربية نحو منطقة بلاد الشام، وذلك نظرا للأهمية الاستراتيجية التي يتمتع بها. وتمكن من احتلاله في يوم 6 جويلية 1917 مستغلا تراجع معنويات

---

<sup>1</sup> مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ط 4 ، طالس للدراسات والتوجيه والنشر، دمشق ، 1987، ص 355.

<sup>2</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 405.

<sup>3</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 299.

<sup>4</sup> الموسى سليمان، المرجع السابق، ص 299.

القوات العثمانية هناك على اثر فشل القوات العثمانية في حملتها الثانية على قناة السويس في اوت من عام 1916<sup>1</sup> واتخذ الثوار العرب من العقبة نقطة ارتكاز لهم للانطلاق نحو العمق من بلاد الشام، إذ أخذ فيصل يهاجم القوات العثمانية الموجودة في منطقة شرقي الأردن، وبذلك قدم للحلفاء خدمة كبيرة ومساعدة جمة، حيث استطاع اللورد ستيوارت اللنبي قائد القوات البريطانية أن يدخل القدس في 9 ديسمبر من عام 1917 بمعاونة العرب، كما أن احتلال الثوار العرب للمنطقة شرقي معان قد حوى ميمنة القوات البريطانية في فلسطين من هجمات العثمانيين عليها في منطقة بئر سبع والخليل، وحوى خطوط مواصلاتها. وبذلك أصبحت مدينة العقبة مقر القيادة العربية، فانتقل الأمير فيصل إليها، واتخذها مركزا له ولجيشه.

يعتبر إحتلال العقبة نقطة تحول في سير أحداث الثورة العربية، ودخولها مرحلتها الأخيرة، فإذا ما اعتبرنا سيطرة الثوار على ميناء الوجه ترسيخا لأقدام الثورة في الحجاز، فإن السيطرة على العقبة يعتبر انطلاقة لهذه الثورة نحو آفاق أكبر وأبعد لأنها شكلت تجسيدا ملموسا للثورة ونجاحاتها.<sup>2</sup> شهدت القوات العربية خلال هذه المرحلة تطورا ملموسا، من حيث العدد والعدة، وتحولت من قوات يطغى عليها الطابع غير النظامي إلى قوات نظامية مقسمة على شكل فرق يقودها ضباط من خريجي المدارس الحربية، من الأسرى العرب الذين وقعوا في الأسر خلال الحرب.<sup>3</sup> بعد انتقال مقر القيادة العربية إلى العقبة أخذ نطاق العمليات<sup>4</sup> يتشعب ما بين قطع الطرق ونسف القناطر والجسور، خاصة خطوط سكك حديد الحجاز. في ذات الوقت، وجرى استكمال الاستعدادات للتحرك نحو الشمال.<sup>4</sup> تقدمت القوات العربية نحو الجفر وتمكنت من السيطرة عليها، ومنها تحركت نحو مدينة الطفيلية، ونجح في الاستيلاء عليها في يوم 20 جانفي 1918. وتمكنت من صد الهجوم الذي قامت به القوات العثمانية من اجل استعادة المدينة خلال يومي 23-25 جانفي. وعلى إثر هذا الانتصار قرر الامير فيصل التحرك نحو مدينة الكرك التي استولى عليها في يوم 20 مارس عام

<sup>1</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 406.

<sup>2</sup> جلال السيد، حقيقة الامة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1959، ص ص 201-202.

<sup>3</sup> جلال السيد، المرجع السابق ص 203.

<sup>4</sup> للاطلاع على العمليات العسكرية في بلاد الشام، أنظر: الخريطة رقم 2.

<sup>4</sup> زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 253.

1918، وبعد حصار دام قرابة أسبوعين.<sup>1</sup> ونتيجة لهذه النجاحات العسكرية تمكنت القوات العربية من قطع الامدادات عن القوات العثمانية المتحصنة في مدينة معان، فضلا عن منعها من الخروج نحو محاربة القوات البريطانية المتقدمة نحو القدس بقيادة الجنرال ستيوات اللني.<sup>2</sup> استمر تقدم القوات العربية نحو الشمال، وتمكنت هذه المرة من السيطرة على مدينة الارزق الواقعة إلى الشرق من مدينة عمان قرابة 60 كيلومتر، في يوم 14 سبتمبر.<sup>3</sup> ثم اشترك في معركة طولكرم إلى جانب البريطانيين في يوم 19 سبتمبر 1918، وفيها منيت القوات العثمانية بهزيمة منكرة، وتكبدت خسائر فادحة. على إثر هذه النجاحات، وضمن الخطة المسطرة من قبل الجنرال اللني قائد القوات البريطانية، تقدم الأمير فيصل نحو مدينة درعا، وهي آخر معقل للعثمانيين للدفاع عن مدينة دمشق إلى جانب كونها عقدة مواصلاتها العسكرية جنوب سوريا، واحتدم القتال فيها بين القوات العربية والقوات العثمانية المتحصنة فيها لعدة أيام وانتهت بانتصار القوات العربية نتيجة انقطاع الامدادات والمؤن لدى العثمانيين. وعلى إثر هذا الانتصار، أصبح الطريق مفتوح أمام القوات العربية لتقدم نحو دمشق.<sup>4</sup>

لابد من الإشارة هنا، إلى أن القوات البريطانية كانت تتقدم هي الاخرى نحو الشمال بمحور موازي للقوات العربية، ونجحت في هزيمة القوات العثمانية التي تواجهها. وتقدمت باتجاهين: الاول أخذ طريق الساحل وتمكن من السيطرة على مدن غزة ويافا وحيفا واستمر بتقدمه نحو دمشق، اما الثاني فقد تمكن من دخول القدس في يوم 9 ديسمبر 1917 ومنها تقدم نحو أريحا ثم واصل السير نحو السلط ومنها إلى عمان، ومنها اتجه نحو الشمال قاصدا دمشق.<sup>5</sup>

---

<sup>1</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 407.

<sup>2</sup> عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المشرق والمغرب العربي: دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الفيوم، القاهرة، 2013، ص 332.

<sup>3</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 407.

<sup>4</sup> عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المرجع السابق، ص 332.

<sup>5</sup> زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 253.

تقدمت القوات العربية نحو مدينة دمشق مستغلة انهيار معنويات القوات العثمانية وتراجعها، الامر الذي سهل عليها عملية التقدم. وتمكن الامير فيصل من دخول المدينة من دون مقاومة تذكر في يوم 1 أكتوبر من عام 1918، وقبل القوات البريطانية، وسط ترحيب سكانها.<sup>1</sup> لقد كان دخول القوات العربية إلى دمشق حدث تاريخيا. فقد كانت المدينة هدفا ظل العرب يتطلعون للوصول اليه منذ اعلان الثورة في جوان عام 1916، وكانت دمشق تمثل أمل العرب بالحرية والوحدة والاستقلال، فهي أحد اهم المراكز التي انطلقت منها الحركة القومية العربية الحديثة.<sup>2</sup> وتركت بريطانيا للأمير فيصل، إرضاء لمشاعر العرب، أمر احتلال مدن بلاد الشام الاخرى، فاستولى على مدينة صور في يوم 4 أكتوبر، وعلى مدينة بيروت في يوم 6 أكتوبر، وعلى مدينة طرابلس في يوم 8 أكتوبر.<sup>3</sup> وكذلك تمكن من السيطرة على مدينة حمص في يوم 15 أكتوبر، وعلى مدينة حماه في يوم 17 أكتوبر، وعلى مدينة حلب في يوم 26 أكتوبر، وبذلك تم الاستيلاء على كامل المناطق.<sup>4</sup> ولم يمض أكثر من شهر حتى زال الوجود العثماني من سوريا، بعد أن مضى بها أربعة قرون.

#### الخاتمة:

من خلال دراستنا للموضوع يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

- تنامي الوعي القومي العربي بشكل واضح وملاموس في مطلع القرن العشرين الميلادي بفعل النهضة الفكرية التي بدأت منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، والتي شملت مختلف جوانب الحياة العربية كالجانب السياسي والاجتماعي.
- ساهم التعسف العثماني في خلق حالة من اندماج ما بين الرؤى ذات الطابع الشخصي المتمثلة بالشريف حسين، والرؤى ذات البعد القومي المتمثلة بالجمعيات القومية العربية مما أدى إلى تبلور رغبة مشتركة من أجل الثورة ضد الهيمنة المتغترسة التي مثلها الحكم العثماني خلال الحرب العالمية الأولى، وخير ليل على هذا القول موافقة الطرفين على ميثاق دمشق.

<sup>1</sup> عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المرجع السابق، ص 332.

<sup>2</sup> عبد المجيد عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، ط 1، دار النهضة العربية، لبنان، 2000، ص ص 323-324.

<sup>3</sup> محمد أيوب، المرجع السابق، ص 408.

<sup>4</sup> زاهية قدورة، المرجع السابق، ص 254.

- لم تكن الرغبة البريطانية صادقة بخصوص ادعاءاتها في دعم وتأييد الثورة العربية، إذ حاولت من خلال ذلك استغلال العرب في تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية في المنطقة بأقل كلفة ممكنة عبر القضاء على الدولة العثمانية مجسدة ذلك في اتفاقية سايكس بيكو وتصريحها المشؤوم لليهود في إقامة وطن قومي لهم ونعني هنا وعد بلفور.
- شكل المجهود العسكري العربي خلال الثورة عامل ضغط وتأثير على النشاط العسكري العثماني في المنطقة العربية الأمر الذي كلفهم الكثير من الجهود والهيبة.
- حظيت الثورة العربية بتأييد ودعم رموز القومية العربية آنذاك، لأنها وحدت فيها الفرصة التي يمكن أن تحقق الأمل العربي المنشود في الاستقلال والحرية.
- يجب الاعتراف بأن الفضل يعود للثورة العربية في زرع فكرة القومية الثورية في نفوس العرب في سوريا والذين بفضل هذه الأفكار قاوموا الانتداب الفرنسي.

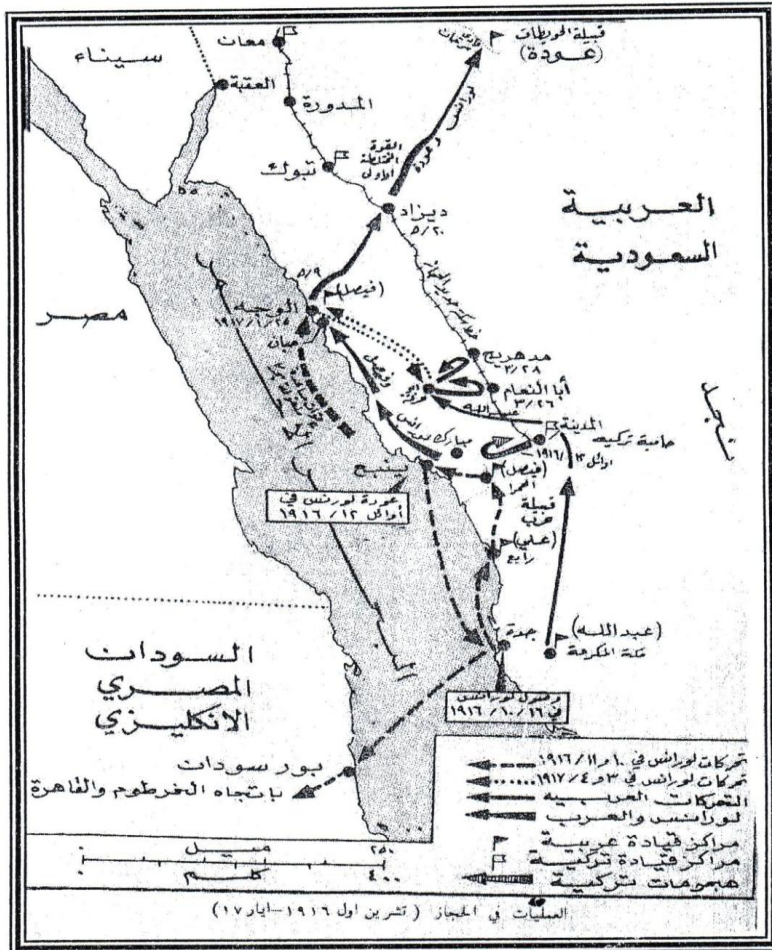
#### قائمة المصادر والمراجع:

- شامي يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.
- الموسى سليمان، الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، ط2، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1992.
- علي محافظة، الفكر السياسي في الأردن، وثائق ونصوص 1916-1946، ج 3، وزارة الثقافة، عمان، 2009.
- نضال المومني، الشريف حسين بن علي والخلافة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1996.
- عبد الله بن الحسين، الآثار الكاملة، الدار المتحدة للنشر، ط2، 1979، بيروت، لبنان.
- جورج أنطونيوس، يقظة العرب - تاريخ الحركة القومية العربية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1967.
- غرايبية عبد الكريم، تاريخ العرب الحديث، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2008.
- محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985.
- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516-1922، بيروت، دار النهضة العربية، 1984.

- عبد الفتاح حسن أبو عليّة وإسماعيل ياغي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الرياض، دار المريخ للنشر، 1979.
- حكمت ياسين، السياسة الفرنسية اتجاه الثورة العربية، دار التونسية للنشر، تونس، 1981.
- حكمت عبد الكريم فريجات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ط 1، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، 1990.
- محمد أيوب، الثورة العربية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث، بيروت، 1985.
- جلال يحيى، العالم العربي الحديث والمعاصر - المدخل، ج 1، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1998.
- زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1975.
- مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ط 4 ، طالس للدراسات والتوجيه والنشر، دمشق ، 1987.
- جلال السيد، حقيقة الامة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1959.
- عبد المنعم إبراهيم الجميحي، المشرق والمغرب العربي: دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الفيوم، القاهرة، 2013.
- عبد المجيد عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، ط 1 ، دار النهضة العربية، لبنان، 2000.

الملاحق

خريطة رقم (1)  
سير العمليات العسكرية في الحجاز



خريطة رقم (2)

سير العمليات العسكرية العربية في بلاد الشام

